قصايا ثقافية

قراءة في كتاب (٢)

آدم وحواء وتفسير الرموز

في عودة الى متابعة تقويم كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك» نستخلص ان ما لم تجده ندوات «نيوزويك» ولا حلقات تلفزيون PBS الاميركية في بحثها عن حقيقة الرجل الاول والمرأة الاولى (آدم وحواء والحية والشيطان والخطيئة الاولى الخ... الخ... الخ...) كشفه الإيزوتيريك بصريح العبارة وببساطة الاسلوب في كتابه المذكور، مفسراً الرموز وموضحاً الالغاز والغوامض في سلاسة المنطق المتكافئ... استكمالاً لكشوفات «الايزوتيريك» وتمهيداً لمتابعة النهل من تلك المعرفة الاكثر تميّزاً والتي تتابعت فصولاً توضيحية في ما جاء قبله من كتب، وبعده.

لقد قدمت معرفة الإيزوتيريك من خلال كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الإيزوتيريك» لمحة تاريخية عن الاطلالة الاولى للخليقة البشرية، التي قد تصدم الانسان المتزمّت المتشبّث بالتقاليد والاعراف السائدة، وتفتح امام الانسان الباحث المنفتح آفاقاً واسعة، لفهم باطن تلك التقاليد والاعراف، من حيث فهم المغازي الكامنة وراء الظواهر، كاسطورة آدم وحواء وجنّة عدن مثلاً التي لم تعد بواقع سردها ماضيا وحاضرا، ترضي منطق الوعي البشري الحالي...

من جهة اخرى، توضح تلك اللمحة التاريخية للعقل المنفتح حقيقة ومثاليّة الانسان المتفوّق، وامكانية تجسّد تلك الحقيقة في كل بشري، وذلك عندما يدرك الانسان مصدره الحقيقي ويتكشّف امامه الهدف الجوهري الذي عليه ان يسعى لبلوغه...

يخبرنا هذا الكتاب القيّم (والذي قد يكون الوحيد من نوعه في هذا المجال - بحسب قول الاب الدكتور يوسف يمين) عن انسان الماضي العتيق، ذلك الماضي الأقدم الذي غفل التاريخ (المكتوب) عن ذكره، ونوّهت به المخطوطات الدينية وذكرته ميثولوجيا التاريخ كانسان الخليقة الاولى، بانه كان كياناً من نور... تحييه نبضة من نبضات الرب الإله. وحدة كان. لانه من الوحدة انبثق. كاملاً كان. لانه مجسّد الكمال ومجسّد الجمال الالوهي... جاء الى الارض وفي البدء قطنها بمفرده. كان المخلوق الوحيد الذي استحق ان يسكن اجمل كوكب، فالأرض كانت حاضنة الوعي الانساني في قلب الكون النابض، وكانت تجسيداً لكمال الخلق.

كان (الإله - الطفل) وحدة، رجلاً وامرأة في كيان واحد موحّد مكتمل... تختلف مادته بشكلها وتركيبها ونظام وجودها عن وجود وكيان انسان اليوم. فقد كان كياناً متوهّج الضياء. ردعي هذا الكائن بالانسان. لم يعرف الثنائية حينها لانه لم ينشطر بعد! لم يعرف الموت كما نعرفه اليوم. فالموت بالنسبة اليه كان أشبه برحلة استجمام (إرادية) من كوكب الارض الى كوكب آخر... يعود بعدها اليها ليكمل حياته...

ذلك هو آدم الاول كما تفهمه حقائق الباطن الانساني - الايزوتيريك، آدم الانسان الكامل، آدم الذكر والانثى معاً. اما الرجل والمرأة فهما حصيلة لاحقة آلت اليها عملية الانفصال او الثنائية (في جنسين) - والتي استغرقت حقباً زمنية مديدة - في بداية المسار نحو الوعي الذاتي. بمعنى ان الرجل والمرأة هما نتيجة انشطار الإنسان الكامل (آدم) في جنسين منفصلين. وهذا ما يُفصّل مراحله الكتاب بدقة تصويرية.

وكان الناموس الإلهي قد قرر ان يكون ثمة ثنائية، لان الكمال لا يعي نفسه الاب النقصان... والثنائية هي العنصر الفعّال الذي سيدفع المرء ليسعى... والسعي هو سبيل الاكتساب، سبيل التقدم والتطور. يسعى المرء نحو الجزء الآخر ليُكمل النقصان في نفسه. وبذلك يتفهم النقصان ويتقدم نحو الكمال الذي انتُقص منه، الذي كان هاجعاً معه.

* * *

توضح علوم الباطن الانسان في كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الإيزوتيريك»، ان الانسان الكامل كان مكوّناً (بالقوة) من سبعة اجهزة وعي (اصطلح على تسميتها بالاجسام الباطنية، وقد جرى الإسهاب في شرحها في كتاب «علم الالوان - الاشعة اللونية الكونية والبشرية» وفي مؤلفات الإيزوتيريك الاخرى). وحين ازدوج الانسان الكامل، اخذ كل نصف ميزات معينة من تلك الاجسام (كما تمّ شرحها في صفحة ٤٠، ورسمها بالالوان على غلاف الكتاب)، اي ان وحدة الانسان الكامل ظلت قائمة في طبقة الروح، وهي اسمى الطبقات. وهذا الرابط الروحي بين النصفين لم ينفصم، بل تمدد في اثنين. لكن اجهزة الوعي الستة الباقية ازدوجت، وصارت ثلاثة اجسام باطنية فاعلة (نسبياً) في الرجل، لكن هذا لا يعني كما قد يظن البعض ان المرأة تحوي نصف الاجسام الباطنية فقط، كذلك الرجل. لان هذا ينافي واقع التكوين البشري: فكل من الجنسين، ليتجسد على الارض، يجب ان يحوي الأجسام السبعة، والا كان غير مكتمل الكيان، وبالتالي يستحيل تجسده.

انما المقصود ان المرأة تحوي الاجسام السبعة مجتمعة لكنها تعي فعلياً الخصائص المؤنثة فيها... وينقصها وعي الصفات المذكّرة الغافلة لديها، اما الرجل فهو يحوي ايضا الاجسام السبعة مجتمعة لكن وعيه لخصائص وصفات تلك الاجسام مختلف، فما هو واعي وفاعل عند المرأة هو غافل لديه، وما هو واعي وفاعل عنده غافل لدى المرأة. والحرية هي في توسع الوعي. او كما وصفها الاب الدكتور يوسف يمين في مقدمته للكتاب «الحرية في المفهوم الباطني هي الوعي، والصعود هو الاسم الروحي للتطور. اما مسار تطور الوعي الانساني فيشرحه الكتاب، بالعمل على إعادة اللُحمة بين الصفات المذكّرة والصفات المؤنثة بعد تفعيلها، وبالتالي وعيها في الكيان الانساني، هذا يعني ان المشاعر والمحبة والتطبيق هي صفات اقل وعياً واكتمالاً في نفس الرجل، وان هي وعت فيه فهي لن تصل الى ذروة إكتمالها في غياب المرأة، لانها بالاتحاد بالمرأة تكتمل! وكذلك فان صفات الارادة والفكر والوجود هي اقل وعياً واكتمالاً في نفس المرأة، وان هي وعت فهي ايضا لن تصل الى ذروة اكتمالها في غياب الرجل لانها بالاتحاد بالرجل تكتمل! وبان في ذلك تعليم غير مباشر وتثقيف في فهم الحب وترابط جوهري بين الجنسين:

وتتابع حقائق الباطن الانساني كشوفاتها فتوضح: «لا يعاين المرء وجه الإله إلاّ بتوخده بالنصف الذي انفصل عنه اصلاً» فكما ان روح الانسان الكامل تمددت في شعبتين (محافظة على اتحادها اللاواعي واللاجزئي في اسمى طبقات الوعي) فكان الرجل وكانت المرأة، فقدر هذه الروح ان تعي وحدتها اللاواعية وتعود اليها، وذلك باتحاد بقية الاجسام بعد ان تكتمل في وعي ذاتها، وذلك قبل ان تتحد بالإله الخالق. فالإله لا يحوي الثنائية، ولا يمكن ان يحوي الارواح المتباعدة في انصافها...

اما كيف يتم ايجاد النصف الافضل، فبعد ان يتخذ المرء من الوعي الذاتي هدفا، ومن معرفة الباطن سبيلاً، سيكتشف المستلزمات بنفسه، وسيجد ما يبحث عنه.

الخطوة الاولى والأهم في الوقت الحاضر ان يكتشف، كلا الجنسين، ويختبر الصفات والخصائص الذاتية التي تُميّزه عن الآخر، وتجعله يعي انه مسار للآخر، ولا مجال للمفاضلة او الدونية، ولا للظلم والإجحاف.

هنا يتطرق الكتاب الى هذه العلاقة غير المتوازنة بين الرجل والمرأة والتي سادت المجتمعات لفترات طويلة عبر التاريخ، ويقدم منهج الايزوتيريك الداعم لحركات التحرر النسائية التي حفل بها القرن الماضي، حيث نجحت في جعل المرأة تتساوى بالحقوق والواجبات مع الرجل، واخذت دورها كشريك فعّال في الكثير من البلدان الغربية. وها هي المرأة الشرقية وقد بدأت تحقق تقدماً ملحوظاً على هذا الصعيد.

ان هذا الواقع يبرهن عن صوابية مفهوم الايزوتيريك القائل: بأن المرأة والرجل هما قطبا الوجود الحياتي والركنين الاساسيين الذي يرتكز عليهما قانون الحياة الارضية، وان اختلال التوازن بينهما سيجعل تكامل الانسان بانسانيته صعباً وبعيد المنال...

يشرح الكتاب ان الرجل هو القطب الموجب في الحياة، واذا كانت الصفات والميزات التي يتمتع بها هي في نظره اسمى واقوى، فأن هذا لا يمكن ان يكون مبرراً لان تكون تلك الخصائص اسمى مقدرة في الوعي من تلك التي تحويها المرأة. ومع ان الرجل هو القطب الموجب، فالمرأة هي القطب السالب في الحياة. ويستحيل على اي منهما ان يكون كيانا كاملا بمفرده ان بقيا متباعدين.

فاذا ما تقصينا هذا الواقع في ضوء المنطق الباطني الحياتي، نجد ان الارادة دون محبة او حكمة، لهي طاقة عمياء تُدمّر اكثر ما تبني... والفكر دون المشاعر والعواطف، يكون جافاً حاداً، قد يوصل الى طريق مسدود، او حتى الى الشرود عن الطريق المستقيم! لان في مقدور الفكر تزوير الحقائق والعبث بالوقائع...

على صعيد آخر، المحبة دون مجال تطبيقي، تفرغ من مضمونها... والمشاعر دون الفكر اشبه بالدوامة التي تبتلع صاحبها. كذلك الامر بالنسبة الى تفعيل الوجود في الرجل ان لم يكن في المجال التطبيقي الموجود في المرأة، ففي أي حقل او طبقة يمكن تفعيله؟! رايضاً، المجال التطبيقي دون وجود يُجسّد فيه يُعتبر فراغاً او حتى سراب!.

اذن لا الموجب - الرجل طاقة بحد ذاته، ولا السالب - المرأة كذلك، لان طاقة كليهما تبقى نظرية، او كامنة، دون التقائهما.

يُنبئ كتاب (المرأة والرجل في مفهوم الإيزوتيريك) ذاكرة الماضي ليفسّر قصة آدم وحواء، والحية والشيطان والخروج من الجنة... فيشرح اولا كلمة آدم حيث ان هذا الاسم هو نفسه الذي عرفته شعوب الارض ولم يتغير لفظه في اللغات المندثرة والحديثة وهو اصلاً كلمة سنسكريتية تعني شعب الخليقة الاولى - آدم. ايضاً آدم هو الاسم الذي اطلقه العرق الآري على صفة نوعية لمجموعة او مرتبة عامة من البشرية الاولى (الإنسان الكامل) التي كانت (أجسادها) لا تحوي دماً... اي كائنات إلهية.

انطون صباغ

(غداً: جزء آخر)